

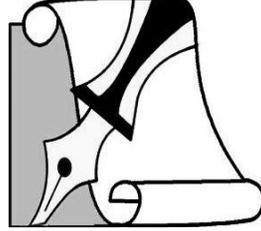


مركز البحوث الفلسطينية والاستراتيجية

# التقدير نمف الشهرى

تحليل للتطورات السياسية  
والأمنية فى «إسرائيل»

www.bahethcenter.net  
Email: baheth@bahethcenter.net  
bahethcenter@hotmail.com



**مركز للدراسات  
اللسطينية والاسراتيجية**

## **تحليل نصف شهري للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»**

---

### **أهداف المركز الرئيسية:**

- 1 – إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمم.
- 2 – الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.
- 3 – بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.
- 4 – إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

## إشكالية التموضع الإيراني في سوريا والعراق بالنسبة لإسرائيل

### 1 - مدخل:

لا يمكن الفصل بين ما جرى من حرب عالمية لثيمة وقذرة خلال السنوات الثمان الماضية في سورية، وبين ما حاكته الأجنداث الصهيونية والغربية الاستعمارية ضدها في القرن الماضي. فاستهداف سورية لم يسقط يوماً قط من الاستراتيجيات الصهيونية والغربية التي اعتبرت سورية دائماً، سواء في مرحلة ما قبل عدوان الخامس من حزيران 1967، أو في مرحلة ما بعد ذلك العدوان، العدو الأول والأخطر في مجموعة الدول العربية المحيطة بفلسطين المحتلة. وقد ازدادت هذه النظرة إلى سورية حدّة وخطورة في أعقاب حرب تشرين الأول 1973، وبشكل خاص بعد أن تهافت الرئيس المصري السابق أنور السادات وراء التسوية الخيانية، والتوقيع على معاهدة كامب ديفيد المهينة، حيث بقيت سورية الدولة العربية المجاورة الوحيدة التي تتخذ موقفاً علنياً رافضاً للتسويات الجائرة والتطبيع المذل، كما تعامل ساسة وقادة العدو مع سورية على مدى السبعينيات أو الثمانينيات مروراً بالتسعينيات من القرن الماضي، وصولاً إلى المشهد الراهن، بوصفها الدولة العربية التي تشكل تهديداً استراتيجياً للكيان الغاصب. وفي هذا السياق تفجرت هستيريا المؤامرات والتهديدات العسكرية والأمنية من كل حذبٍ وصوب ولاسيما من قبل أميركا والدول والمشيخات العربية الرديفة والعميلة تماماً كما حصل أثناء غزو العراق تحت ذرائع عديدة واهية ومفتعلة. ولعل في الإشارة الموثقة لجملة من مواقف قادة العدو تجاه سورية عبرة لمن يريد أن يعتبر من المحرضين المضللين المنخرطين في أخطر حملة أمريكية صهيونية لإسقاط سورية الدولة والوطن والتاريخ والدور. ففي مطلع كانون الأول 1988، أعلن الجنرال افرايم لبيد قائلاً: "سورية ما زالت تشكل العدو الأول، والجيش الإسرائيلي يبذل كافة الجهود استعداداً لمواجهة هذا التهديد"، وفي تصريح أدلى به يوم

15/2/1989، أعرب اسحق رابين رئيس الوزراء ووزير الحرب الإسرائيلي الأسبق عن قلقه من تحالف القوى العسكرية العربية عموماً قائلاً: "قليلون هم الذين يلاحظون حجم كميات الأسلحة الحديثة التي بحوزة الجيوش العربية، ففي السنوات الأخيرة بذلت الدول العربية مثل سورية والعراق جهوداً خاصة للحصول على أسلحة حديثة مثل صواريخ أرض - أرض، فاليوم تستطيع سورية والعراق إطلاق صواريخ أرض - أرض تحمل رؤوساً متفجرة بوزن يتراوح بين نصف طن وطن باتجاه إسرائيل"، مضيفاً: "لدى سورية عدد من الدبابات يساوي ثلاثة أضعاف تلك التي بحوزة فرنسا، إن التهديد الفوري لإسرائيل هو من جانب سورية".

ثم جاء العميد يوسي بيلد قائد المنطقة الشمالية في جيش الاحتلال آنذاك، ليعكس في تصريح له حالة القلق التي تنتاب قادة ذلك الجيش من القوة السورية، فقال: "إنني قلق جداً، وأعاني من قلة النوم في ضوء تزايد الثقة بالنفس لدى السوريين، إنني أنام كالأطفال، وأستيقظ في كل لحظة لأبكي"، ثم عاد رابين ليؤكد مرة أخرى على أن سورية هي الخطر الأكبر، فقال: "إذا كان الأمر متعلقاً بمواجهة عسكرية مع إسرائيل، فإن سورية هي الدولة المحتملة والمرشحة الأولى لشن هجوم ضد إسرائيل. "كذلك الجنرال دان شومرون الذي حذّر من تعاظم القوة العسكرية السورية قائلاً: "سورية تستعد للحرب، ولديها وسائل قتالية حديثة قادرة على إيقاع آلام لا تحتمل بالإسرائيليين، وهذا يعتبر بلا ريب التهديد الجدي الأكبر الذي تواجهه دولة إسرائيل"، ثم ربط اسحق رابين لاحقاً العراق وسورية في معادلة واحدة قائلاً: "سورية والعراق يستطيعان وضع 11.000 دبابة من نوعية جيدة أمام إسرائيل، وكذلك يستطيعان وضع أسلحة جو ضخمة، وصواريخ أرض - أرض التي قد تصل إلى أية نقطة في إسرائيل، كما أن سورية والعراق ينتجان أسلحة كيميائية متطورة".

سورية من وجهة نظر أطراف التحالف الشيطاني لا تزال تشكل الخطر الاستراتيجي على الكيان الصهيوني وفي هذا السياق تأتي التهديدات الاسرائيلية والأمريكية بالتدخل العسكري ضد سورية، وكل ذلك في سياق استراتيجي صهيوني جوهره تفكيك التهديدات العربية خاصة السورية لإسرائيل بعد أن تم تفكيك التهديد العراقي في العام 2003، وفي ذلك كان البروفسور الإسرائيلي المناهض للصهيونية يسرائيل شاحاك خير من شرح تلك الاستراتيجية الصهيونية، حين قال: "إن الهدف الرئيس للسياسة الإسرائيلية هو

السيطرة الإقليمية على الشرق الأوسط بأكمله"، وعن الأسلحة الاستراتيجية أضاف شاحاك: "إن إسرائيل لا يمكن أن تسمح لأية دولة في الشرق الأوسط بتطوير إمكانيات نووية أو استراتيجية، وتعطي لنفسها الحق في استخدام ما تراه مناسباً من وسائل لمنع مثل هذا الاحتمال حتى تظل في وضع احتكار التفوق العسكري". وبالتالي فإن ما يجري في سورية من تدخل عسكري خارجي ومن تدمير منهجي ومن إصرار على إسقاط سورية الوطن والدور، لا يمكن أن يخدم في الحاصل الاستراتيجي سوى الأجندة الصهيونية الإمبريالية.

## – 2 تسلسل وقائع الحضور الإيراني في سوريا:

منذ بدايات العام 2012، مثلت الأزمة السورية فرصة للجانب الإيراني لنشر وتعميق حضوره في الساحة السورية، مدفوعاً بأهمية سوريا الاستراتيجية في حيثيات القضية الفلسطينية خاصة والمنطقة عامة؛ ودورها في ضمان تواصل الممر البري الخادم للمقاومة من طهران لبيروت. وبينما كانت موازين القوى، بحسب العديد من المراقبين، تميل لصالح قوى المعارضة السورية المسلحة في لحظات حرجة مرت عام 2015، وكاد معها نظام الرئيس الأسد أن يسقط، وتخسر معه قوى المقاومة والصمود المدعومة إيرانيًا، تدخلت روسيا عسكرياً في الأزمة بشكل مباشر، في 30 أيلول 2015، وهو ما انعكس بدوره على موازين القوى، حيث استدارت الأمور لصالح الرئيس الأسد وقوى المقاومة الحليفة له. وثمة متغير آخر مكن إيران من تعميق نفوذها في سوريا والمنطقة، وهو تعااضي الأمريكيين والإسرائيليين منذ بداية الأزمة عن تدخل الطرف الإيراني وانتشار قواه والقوى الرديفة له في الساحة السورية؛ من باب أنهم ارتأوا في ذلك فرصة لاستنزافهما وتوريطهما أكثر فأكثر، ومن ثم تعاملت الولايات المتحدة وإسرائيل مع الساحة السورية كمستنقع تماسيح لمن يتورط فيه أكثر مما هو ساحة للنفوذ الجيوسياسي. لكن بمرور الوقت، ظهرت الأزمة السورية ليس كمستنقع يستنزف من يتورط فيه، وإنما ساحة للحضور الاستراتيجي تتمدد فيها إيران يوماً بعد يوم، خاصة بعد سيطرتها على بعض المعابر على الحدود العراقية السورية، فضلاً عن امتداد نفوذها للجنوب السوري، حيث الحدود مع فلسطين المحتلة. تزامن ذلك مع وصول دونالد ترامب، لمنصب رئاسة الولايات المتحدة، والتي أعلن معها عن إستراتيجية تصعيدية تجاه إيران ونفوذها

في منطقة الشرق الأوسط . فكانت النتيجة تصعيد عسكري إسرائيلي أمريكي ضد إيران في سوريا والمنطقة، من خلال توجيه ضربات جوية انتقائية من حين لآخر، بتعاضد من قبل روسيا المسيطرة على الأجواء السورية .ومن ثم أشار بعض التقديرات والتقارير إلى أن هناك اتفاقات أو صفقات تمت أو يتم الإعداد لها بين أمريكا وإسرائيل من ناحية وروسيا والرئيس الأسد من ناحية أخرى، تتعلق بمصير الحضور الإيراني الاستراتيجي في الساحة السورية.

### 3- تطور النفوذ الإيراني في سوريا:

مثلما تدرجت الأمور في لبنان بعد العدوان الإسرائيلي عليه عام 1982 لغير صالح العدوان والاحتلال ومن ثم التدخل الإيراني ونشوء المقاومة الإسلامية وحزب الله بعدئذ، تعمق النفوذ الإيراني في سوريا، إثر الحرب العالمية اللثيمة التي شنت عليها من قبل 83 دولة ومشیخة وإمارة عام 2011، من خلال إرسال مئات المستشارين العسكريين من الحرس الثوري؛ للمشاركة في تقديم الاستشارات ووضع الخطط، إلى جانب الإشراف على عشرات مجموعات المقاومة المسلحة قياداً وتدريباً وتسليحاً . كما تحدث بعض التقديرات عن وجود نحو 2000 مستشار وأكثر من 9 آلاف مقاتل في مجموعتي "فاطميون" المشكلة من مقاتلين أفغان، و "زينبيون" المشكلة من مقاتلين باكستانيين، إلى جانب 7 آلاف مقاتل من "حزب الله" اللبناني، وأعداد غير معروفة من مجموعات عراقية تنتمي إلى "الحشد الشعبي"، منها "النجباء" و"حزب الله العراقي" و"لواء أبو الفضل العباس" و"عصائب أهل الحق".

على الإثر شهدت الساحة الإقليمية والدولية عدة لقاءات، كان الحديث والاتفاق حول مصير التواجد الإيراني في سوريا على رأس جدول أعمالها . ومن أهمها، اللقاء الذي جمع رئيس حكومة العدو بنيامين نتيناهو، مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في موسكو للمرة التاسعة خلال عامين . الثاني، قمة هلسنكي التي جمعت دونالد ترامب، مع فلاديمير بوتين، في العاصمة الفنلندية "هلسنكي" وكان أول لقاء قمة رسمي بين الطرفين.

واستنادًا لهذه اللقاءات وغيرها من التطورات الإقليمية، تعددت الروايات حول صيغة التوافقات التي تمت بين الولايات المتحدة وإسرائيل من ناحية وروسيا والرئيس الأسد من ناحية أخرى، حول مصير الانتشار الإيراني في سوريا، ويمكن الإشارة لها من خلال أربعة روايات:

**الرواية الأولى**، أشارت إلى تخلي القوى الإقليمية والدولية عن دعم المعارضة السورية المسلحة في الجنوب، وأن تسمح إسرائيل لقوات النظام السوري بالانتشار في الجولان ودرعا والقنيطرة حتى الحدود الأردنية، وتفكيك قاعدة التنف العسكرية الأمريكية على الحدود السورية العراقية الأردنية، مقابل قيام روسيا بالضغط على إيران لسحب قوى المقاومة التي تدعمها لمسافة 25 كيلو مترًا عن الحدود الإسرائيلية. وتقارير أخرى أشارت لانسحاب هذه الميليشيات لمسافة 80 كم. وعدت هذه الصيغة من ناحية الحد الأدنى لما تسعى إليه إسرائيل فيما يخص الوجود الإيراني.

**الرواية الثانية**، تحدثت عن قبول واعتراف رسمي إسرائيلي ببقاء حكم الرئيس الأسد، في مقابل خروج إيران وقواها الرديفة من سوريا بشكل كامل، وهو ما جاء على لسان نتنياهو في إحدى زيارته لموسكو، حيث صرح بأن إسرائيل لا تنوي تهديد حكم الرئيس بشار الأسد، وطلب من موسكو إخراج القوات الإيرانية من سوريا.

المفارقة في هذه الصفقة هي أنها ليست مقايضة بالمعنى الدقيق؛ لأن الاعتراف الرسمي بالأسد أو الخروج الإيراني من سوريا على السواء إنما يمثلان رغبة إسرائيلية. ولكن في هذا الصدد، يمكن أن يكون الثمن المقبول سورياً من إسرائيل ليس مجرد القبول بالأسد؛ لأن موازين القوى لم تعد تسمح بأن يكون هناك بديل للأسد في المدى المنظور. قد يكون الثمن المقبول هو تطبيع العلاقات السورية مع الولايات المتحدة وحلفائها، أي العودة لوضع ما قبل 2011.

**الرواية الثالثة**، لمحت إلى ربط ترامب مسألة الخروج الأمريكي من سوريا بقيام بوتين بالضغط من أجل الانسحاب الإيراني من سوريا بشكل كامل. ومن ثم فإن ترامب أغرى بوتين بهذه الصفقة، لנاحية أنه سيتترك سوريا كساحة للنفوذ الروسي المطلق، خاصةً بعد الخروج الأمريكي والإيراني منها، وتبقى تركيا التي من السهل على روسيا التعامل معها. ويبدو أن الولايات المتحدة مستعدة لأن تنسحب من سوريا إذا ما كانت هناك ضمانات لخروج إيراني أيضاً بشكل كامل، وما يرجح ذلك عدة مؤشرات:

الأول، أن سوريا لا تُعد ساحة نفوذ تقليدية للولايات المتحدة، وإنما تاريخياً كانت ولا زالت ساحة للنفوذ الروسي ومن قبله السوفيتي. أو كما قال أحد الدبلوماسيين الأمريكيين "نحن لم نمتلك سوريا قط كي نخسرها ونسلمها للروس كما يدعي البعض".

الثاني، ما صرح به مستشار الأمن القومي الأمريكي جون بولتون، بأن القوات الأمريكية باقية في سوريا حتى زوال الخطر الإيراني. أي أنه ربط التواجد الأمريكي في سوريا بالإيراني، خاصةً بعد زوال خطر "تنظيم الدولة" الإرهابي نسبياً؛ حيث لم يعد موجوداً إلا في جيوب متفرقة في البادية السورية. الثالث، إعلان ترامب أكثر من مرة رغبته في الخروج من سوريا، وسحب قواته المقدرة بـ 2000 جندي، ومطالبته سواء بإرسال قوات عربية تحل محل الأمريكية أو بقيام السعودية بدفع تكلفة بقاء القوات الأمريكية في سوريا. هذا فضلاً عن التوجه الانعزالي لدى ترامب، وعدم رغبته في تكرار أخطاء الماضي في العراق وأفغانستان، وإن كانت الظروف مختلفة سواء من حيث طبيعة الصراع وأطرافه، وحجم القوات الأمريكية المنخرطة ودورها في الصراع.

الرواية الرابعة: تتعلق بأبعاد دولية تتجاوز إقليم الشرق الأوسط، حيث تتضمن اعترافاً أمريكياً بضم روسيا لشبه جزيرة القرم، ورفع العقوبات الأمريكية المفروضة عليها، في مقابل إخراج روسيا للقوى المؤيدة لايران من الساحة السورية بشكل كامل. وتبدو المقايضة هنا غير متكافئة لصالح الجانب الروسي، ولذلك فإن المؤسسات الأمريكية وعلى رأسها البنتاغون لم تسمح لدونالد ترامب بهذه المقاربة، من أجل حل أزمتي سوريا وأوكرانيا، خاصةً مع تزايد التوتر في العلاقات البينية؛ على وقع مزاعم تدخل روسيا في الإنتخابات الرئاسية الأمريكية الأخيرة. هذا فضلاً عن كون أزمة ضم روسيا لشبه جزيرة القرم ذات أبعاد جيواستراتيجية كبيرة لأوروبا وأمريكا معاً، ولا يمكن التنازل فيها بهذا ثمن. وبمجرد أن صرح ترامب عقب قمة هلسنكي، بأنه لا يرى أي سبب يدفع للقول بأن روسيا قد تدخلت في الإنتخابات الأمريكية لصالحه، وأنه لا يرى ما يدعو لتصديق أجهزة المخابرات الأمريكية، تلقى ترامب على إثر ذلك هجوماً من الديمقراطيين بل وحتى من قبل معسكره الجمهوري؛ لأنهم يعتبرون أنه اتخذ موقفاً ممالئاً لروسيا، وهو ما دفعه للتراجع عن تصريحه وإعلان ثقته في جهاز المخابرات وتأكيد على تدخل الروس في الإنتخابات.

وبالتالي، إذا كان رد فعل الداخل الأمريكي على مجرد تصريحات بهذا الشكل، فكيف سيكون رد الفعل إذا قدم ترامب تنازلات قوية في ملفات حساسة كالقرم ورفع العقوبات مقابل ثمن غير متكافئ.

#### 4- حضور إيران في الجنوب والشرق السوري:

بينما ترغب الولايات المتحدة ومعها إسرائيل في الخروج الكامل لإيران من سوريا، فإن هناك بعض المناطق التي تمثل أولوية بالنسبة للولايات المتحدة في هذا الصدد وهي: مناطق الجنوب والشرق السوري، وهي المناطق التي تمثل أهمية حيوية في الإستراتيجية الإيرانية تجاه سوريا. فقد اعتادت إيران على سياسة التموضع بالقرب من الحدود في الدول التي تمتلك نفوذاً فيها، لأن هذه المناطق عادة ما تكون ذات مدلولات إستراتيجية، تستخدمها إيران في صراعاتها الإقليمية. من أجل ذلك تحتل مناطق الجنوب السوري "درعا والقنيطرة والسويداء" المرتبة الأولى في سلم الأولويات الأمريكية الإسرائيلية، كمناطق يجب أن تكون خالية من تواجد قوى المقاومة المدعومة إيرانيًا، لتتماس هذه المناطق مع الحدود الإسرائيلية. فاللواء "313" المدعوم إيرانيًا متواجد في مدينة درعا، والتي تبعد 12 كم فقط عن الحدود الإسرائيلية، وهي قوى مقاومة محلية أنشأتها إيران لمواجهة المؤامرات الساعية لإبعادها عن الحدود. كما يتواجد لواء "تحرير الجولان"، وهي قوى مقاومة عراقية شكّلت في آذار 2017، مدعومة إيرانيًا ومتواجدة في الجولان.

أما شرق الفرات حيث الحدود المشتركة مع العراق، فإنها في المنظور الإيراني ذات أبعاد جيواستراتيجية هامة، لذلك فهي حريصة من خلال قوى المقاومة التابعة لها على التواجد فيها أيضًا. حيث تهدف إيران للسيطرة على المعابر الحدودية بين العراق وسوريا في الشرق السوري؛ بغرض ضمان تواصل ممرها البري من طهران لبيروت. وفي هذا الصدد، يوجد في الشمال الشرقي السوري منفذان حدوديان رسميان بين سوريا والعراق: الأول البوكمال مقابل مدينة القائم العراقية، ويسيطر عليه من جهة سوريا قوات النظام السوري وقوى المقاومة المدعومة إيرانيًا، الثاني اليعربية في مدينة الحسكة مقابل منفذ ربيعة العراقي في نينوى، ويسيطر عليه من جهة سوريا قوات "سوريا الديمقراطية" المدعومة أمريكيًا، كما تمكنت القوى

المدعومة إيرانيا من إنشاء معبر حدودي جديد غير رسمي في مدينة البعاج . وبالتالي فهناك ممران بريّان تسيطر عليهما القوى الحليفة لإيران من الناحيتين السورية والعراقية، أحدهما رسمي والآخر غير رسمي. ومن ثمّ، وبينما تمثل مناطق الجنوب السوري والشرق السوري أهمية محورية في الإستراتيجية الإيرانية تجاه سوريا، وبالتالي في الإستراتيجية الأمريكية والإسرائيلية الساعية لاحتواء إيران ونفوذها في سوريا، فإنّ إشكالية كل منطقة تختلف عن الأخرى، فبينما تمثل إشكالية الجنوب السوري مجرد اقتراب القوى المدعومة إيرانيا منها حيث الحدود مع فلسطين المحتلة، فإنّ إشكالية الشرق السوري ليست فقط مجرد الاقتراب من الحدود الشرقية، بل السيطرة أيضاً على المعابر الحدودية بين العراق وسوريا . وفي حين تسعى إيران من خلال تمركزها في الجنوب السوري لمناكفة الخصم الإسرائيلي على حدود فلسطين المحتلة الشمالية، فإنها تسعى من خلال سيطرتها على المعابر الشرقية لضمان تواصل ممرها البري من طهران لبيروت . وجدير بالذكر، أنه في الجنوب يوجد معبر "التنف"، وهو المعبر الوحيد على الحدود العراقية السورية في تلك المنطقة، وتسيطر عليه الولايات المتحدة من الجانب السوري . ولا يبدو أن هناك ثمة انسحاباً أمريكياً من التنف، إلا في إطار اتفاق شامل يشمل الوجود الأمريكي والإيراني برمته في سوريا.

وبينما تركز الولايات المتحدة ومعها إسرائيل من خلال تواصلها واتفاقاتها مع الجانب الروسي، لحلّ إشكالية الجنوب السوري . فإنّ الساحة السورية من المرجح أن تشهد توجهاً أمريكياً في الفترة المقبلة، خاصةً بعد أن تنتهي من مشكلة الجنوب، نحو الشرق السوري . وستتركز الجهود ليس على فكرة إبعاد القوى المؤيدة لإيران عن الحدود الشرقية، بقدر ما هو الحيلولة دون سيطرتها على المعابر الحدودية الرسمية وغير الرسمية بضمانة روسية . فقد أعلن ترامب، أن الولايات المتحدة ستمنع أي ممر بري يربط إيران بالبحر الأبيض المتوسط، وقال قائد القوات الأمريكية بالشرق الأوسط، الجنرال جوزيف فويتيل، للصحافة إن دعم قوات "سوريا الديمقراطية" سيساعد في ضمان منع إيران من الحصول على الممر البري المذكور . وبالرغم من أن إيران إذا ما فقدت الممر البري الذي تسعى لتأمينه، واستطاعت الولايات المتحدة قطع أوصاله، فإنها ستستعيبض عنه بالممر الجوي . حيث تتخذ إيران من المطارات في الغرب السوري

وبالأخص دمشق، نقطة انطلاق من دمشق لطهران والعكس صحيح، لتتجاوز بها المعوقات التي تواجهها على الأرض. ولكن الممر الجوي كمنظيره البري يواجه معوقات أيضاً: أولاً تكلفة الممر الجوي تفوق بكثير الممر البري، خاصة مع الأزمات الاقتصادية التي تمر بها إيران، متزامنة مع احتجاجات داخلية ذات طابع اقتصادي اجتماعي. ثانياً قد تكون الطائرات الإيرانية عرضة للاستهداف من قبل الولايات المتحدة، من خلال تمركزها بقواعدها العسكرية في الشرق والشمال الشرق السوري؛ حيث تهيمن الولايات المتحدة على المجال الجوي في تلك المنطقة. ولكن من الممكن أن تؤدي روسيا دوراً في حماية الممر الجوي الإيراني من الاستهداف الأمريكي، خاصة وأن للأولى السيطرة العليا على الأجواء السورية، بما يجعل الممر الجوي الإيراني ممكناً في حال فشلت في إنشاء ممر بري متواصل.

#### – 5 إيران وروسيا في سوريا:

منذ التدخل الروسي العسكري المباشر في سوريا نهاية أيلول 2015، حرصت تل أبيب وموسكو على التنسيق الدائم بينهما بشأن دور إسرائيل في سوريا. وقد أقرت روسيا "بحق" إسرائيل في قصف أهداف عسكرية داخل سوريا وفق الخطوط الحمر الإسرائيلية المعلنة. كما شمل التنسيق الحرص على تجنب أي صدام بين الطائرات الإسرائيلية ومنظومات الدفاع الجوي الروسي المقامة هناك. وبالرغم من عقد نتنياهو سبعة لقاءات مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين منذ التدخل العسكري الروسي في سوريا، فإن تل أبيب لم تقنع موسكو بالحد من الوجود العسكري الإيراني في سوريا، إذ لا يُتوقع أن تعالج روسيا طلب إسرائيل بشأن الوجود العسكري الإيراني قبل انتهاء الحرب السورية نهائياً، فموسكو بحاجة إلى هذا الوجود لحماية نظام الرئيس الأسد واستعادة نفوذه في مختلف أنحاء سوريا.

لقد جاء الإعلان عن نشر عناصر من الشرطة العسكرية الروسية في هضبة الجولان في الثاني من آب 2018 تطوراً لافتاً في الدور الروسي ليس في سوريا فقط بل في منطقة الشرق الأوسط بأكملها. حيث شكل هذا التطور إشارة واضحة إلى مساهمة روسية فاعلة في حماية إسرائيل تتسجم وتتفق مع الاستراتيجية والنهج الأمريكي في هذا الاتجاه، كما تتسجم وتتفق أيضاً مع السعي الأمريكي لتحجيم وإنهاء الدور

والوجود العسكري الإيراني على الأراضي السورية . وكانت موسكو في التاسع من ايار 2018، دعت رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو لحضور العرض العسكري للاحتفال بيوم النصر كضيف شرف، وبعد أن عاد نتنياهو إلى تل أبيب شنت القوات الجوية الإسرائيلية، بحسب وسائل الاعلام العبرية، غارات جوية استهدفت 50 موقعاً عسكرياً تابعاً للقوات الإيرانية وحزب الله في سوريا . ثم تبعتها تصريحات وتقارير إعلامية إسرائيلية في 29 ايار 2018، أشارت إلى أن الاتفاق بين تل أبيب وموسكو على إخراج كل القوات العسكرية التابعة لإيران وحزب الله من سوريا، والإبقاء على القوات السورية الحكومية فقط . ومن الجدير بالذكر أن روسيا تنتشر أكثر من 48 ألف جندي في سوريا . والسؤال المطروح هو ما إذا كان هناك اتفاق غير معلن بين روسيا وإسرائيل لإرباك القوات الإيرانية وإزاحتها من سوريا، وبخاصة أن موسكو لم تعلق على الهجمات الإسرائيلية، ولم يعترض نظامها الدفاعي في سوريا تلك الضربات . بل إنها أرسلت وزير خارجيتها سيرغي لافروف ورئيس الأركان الروسي إلى إسرائيل من أجل وضع النقاط على الحروف وتعزيز التعاون والتنسيق العسكري والأمني بين موسكو وتل أبيب في إطار الترتيبات النهائية لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه في سوريا قبل الأحداث السورية في عام 2011. وفي السياق صرح وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف لوسائل الإعلام الإسرائيلية، إن «القوات السورية الحكومية هي فقط من لديها حق البقاء في الجنوب، ويجب خروج أي قوات أجنبية أخرى» ، مشدداً على ضرورة التزام طهران بذلك الاتفاق . وحسبما نقلت صحيفة "تايمز أوف إسرائيل" عن التلفزيون الإسرائيلي، فإن إسرائيل توصلت إلى اتفاق سري مع روسيا، لإبقاء القوات الإيرانية المتواجدة في سوريا بعيدة عن الحدود الإسرائيلية . ووفقاً لـ "الصفحة" المشار إليها، فإن إسرائيل ستقبل بعودة قوات النظام السوري إلى الحدود على مرتفعات الجولان، في مقابل ضمانات روسية بعدم وجود أي قوات إيرانية أو قوى مقاومة تابعة لها مثل حزب الله اللبناني في المنطقة .

إن مضمون الاتفاق الروسي الإسرائيلي بضمان الأمن الإسرائيلي أفقد إيران ورقة استثمار أمني وسياسي طالما طمحت إيران إلى إمساكها أسوة بالحدود الجنوبية اللبنانية مع إسرائيل، لكنّ انتزاع هذه الورقة بتسليم إيراني يكشف إلى حد بعيد قوّة هذا الاتفاق في الجنوب السوري بمباركة أميركية وتعاون أردني.

هذه الاتفاقات والتنسيق الروسي الإسرائيلي أتى في وقت تتعرض فيه طهران لحملة من الضغوط والعقوبات الاقتصادية الأمريكية والدولية لإجبارها على (تعديل أو تغيير سلوكها في الشرق الأوسط (في وقت يكشف الواقع الإيراني عن استنزاف اقتصادي يطال الدولة ومخاطر مالية غير مسبوقه وارتفاع في سقف البطالة. ومن الطبيعي أن كل تلك الأمور ستؤثر في قرارات القادة في إيران، إضافة إلى أن الاتفاق الروسي الإسرائيلي لا يعنى بالتأكيد إنهاء الدور الإيراني في سوريا، ولكنه قد يكون فقط محاولة قصيرة المدى لتجنب صراع لا فائدة منه .

من ناحية أخرى أكد مسؤول إسرائيلي كبير أن إسرائيل قدمت خمسة مطالب إلى روسيا تتعلق بالوجود الإيراني في سوريا وهي: أولاً عدم السماح لإيران بإقامة موطئ قدم عسكري في سوريا. وثانياً إزالة جميع الصواريخ بعيدة المدى من سوريا، وثالثاً إغلاق أي مصانع تنتج صواريخ موجهة بدقة . وتشمل المطالب الإسرائيلية كذلك ضمان إخراج جميع أنظمة الدفاع الجوي التي تحمي الأسلحة المذكورة من سوريا . كما اشترطت إسرائيل إغلاق المعابر الحدودية بين سوريا ولبنان وبين سوريا والعراق لمنع تهريب الأسلحة الإيرانية.

#### 6- مسارات مستقبلية:

يمكن تناول مسارات مستقبل الوجود الإيراني في سوريا من خلال ثلاثة مسارات أساسية:  
**المسار الأول،** بقاء الوضع على ما هو عليه : أي أن يظل انتشار القوى المدعومة إيرانيا وتواجدها في الساحة السورية كما هو في جميع أنحاء سوريا، في العمق السوري وعلى الحدود الجنوبية والشرقية والشمال والغرب السوري. لكن هذا المسار غير مرجح لعدد من الأسباب:  
**(1) تبني دونالد ترامب،** منذ أن وصل للحكم إستراتيجية تصعيدية ضد إيران، بل وأثبت في أكثر من مناسبة أنه جاد في هذه المواجهة، خاصةً بعد أن وفى بوعد الانتخابي وانسحب من الاتفاق النووي الإيراني . وبالتالي لن يترك ترامب الحرية لإيران في أن تثبت نفوذها في كل أنحاء سوريا، كما كان الوضع في عهد سلفه باراك أوباما . خاصةً مع إدراكه أنه بدون دعم اللوبيات الصهيونية لن يستطيع الفوز بفترة رئاسية ثانية، فضلاً عن استكمال فترته الحالية، في ظل تحقيقات الداخل حول شبهة صلته بروسيا

ودورها في التأثير على الانتخابات، لذلك سوف يكون حريصاً على تلبية الرغبات الإسرائيلية في أكثر من ملف.

(2) إسرائيل كذلك جادة في إخراج إيران من سوريا ، من خلال ضربات جوية انتقائية من حين لآخر للقواعد الإيرانية، والتي تفتقد للحماية الجوية. حيث تتغاضى روسيا عن الضربات الإسرائيلية لهذه القواعد، برغم قدرتها على الحيلولة دونها. ومن ثم تدرك إيران التي تفتقد للغطاء الجوي اللازم، أنها على المدى البعيد قد يتم استنزافها في سوريا من خلال الضربات الإسرائيلية، إذا ظلت متمادية في نفوذها وانتشارها الواسع في سوريا، وبالتالي عليها أن تتراجع ولو قليلاً.

(3) قسمت روسيا الصراع السوري لمرحلتين :الأولى مرحلة الحسم العسكري، واستخدمت فيها كل الأدوات الممكنة لحسم الصراع لصالحها وصالح حلفائها، بما في ذلك اتفاقيات خفض التصعيد، التي استخدمتها في قضم مناطق خفض التصعيد الواحدة تلو الأخرى، والتي لم يتبقّ منها الآن غير إدلب، في هذه المرحلة تركت روسيا لإيران الحرية الكاملة في الانتشار والتغلغل في الساحة السورية. ومع قرب انتهاء الحسم العسكري والتمهيد للمرحلة الثانية، مرحلة الحل السياسي النهائي للأزمة السورية، يبدو التعاطي الروسي مع التواجد الإيراني فيها بشكلٍ مختلفٍ. فلم تعد هناك الحرية نفسها في التوسع والانتشار، من خلال سماح روسيا للضربات الإسرائيلية المتكررة للأهداف الإيرانية. وما يتم تداوله عن اتفاقات بين الجانب الروسي من ناحية والأمريكي الإسرائيلي من ناحية أخرى، حول إخراج إيران من سوريا بشكلٍ كاملٍ أو إبعادها فقط عن الحدود على السواء.

إن ما يدفع روسيا لهكذا تعاطٍ مع إيران؛ من ناحية رغبتها في السيطرة المطلقة على الساحة السورية دون شريك، ومن ناحية ثانية تدرك أنها إذا ما توصلت لحل سياسي نهائي مع الولايات المتحدة وغيرها من القوى الإقليمية، فلن تستطيع فرضه على إيران في ظل تمتّعها بتغلغل وانتشار كبير على الأرض، من ناحية ثالثة، تدرك أيضاً أنها لن تستطيع التوصل لهذا الحل دون توافق مع الجانب الأمريكي والإسرائيلي، واللذين لن يوافقا على تسوية لا تتضمن إخراج أو تحجيم النفوذ الإيراني في سوريا على الأقل.

(4) تحتاج روسيا ومعها النظام السوري لإعادة إعمار سوريا بعد انتهاء الصراع والتوصل لحل نهائي للأزمة، ولن تستطيع روسيا وحلفاؤها وحدهم الاضطلاع بهذه المهمة. فقد أعلن ممثل برنامج الأغذية

العالمي للأمم المتحدة "يعقوب كيرن"، أن إعادة إعمار البنية التحتية المدمرة في سوريا ستتطلب من 200-300 مليار دولار على الأقل. ومن ثم فهذه مهمة تتطلب مشاركة المجتمع الدولي برمته والمؤسسات التنموية والتمويلية الدولية، فضلاً عن الدور الخليجي التمويلي، الذي لن ينفصل عن الإرادة والسياسية الأمريكية. بالإضافة لسيطرة الولايات المتحدة بدعم من حلفائها الأكراد على ثلث مساحة سوريا في شرق الفرات، وتتضمن هذه المنطقة على 60% من آبار النفط والغاز في سوريا، و 80% من الأراضي القابلة للزراعة.

وهي موارد ستحتاجها سوريا ليس فقط في إعادة الإعمار ولكن أيضاً كمداخيل تساعد في استقرار سوريا على المدى البعيد. وبالتالي كل هذه المعطيات تدفع روسيا لتلبية الرغبات الأمريكية فيما يتعلق بالنفوذ الإيراني في سوريا؛ ليس فقط لتتوصل لحل سياسي توافقي، بل أيضاً لتكون لديها القدرة على إعادة إعمار سوريا ما بعد الحرب.

(5) قد تكون هناك رغبة روسية سورية للتعامل مع الوجود الإيراني في سوريا كورقة مساومة مع خصومها الإقليميين والدوليين. فبالنسبة لروسيا هناك ملف القرم ورفع العقوبات وتحسين العلاقات مع الغرب، أما النظام السوري فيحتاج لاعتراف وقبول رسمي غربي ببقاء الرئيس الأسد في الحكم على المدى المتوسط والبعيد، وتطبيع العلاقات معه من جديد.

(6) تدهور الاقتصاد الإيراني لحد كبير، وهو ما أدى لاندلاع احتجاجات داخل البلاد، بدأت في 28 كانون الأول 2017، في مدينة مشهد شمال شرقي البلاد. ولعل من أهم مظاهر هذا التدهور، الأرقام الصادرة عن البنك الدولي، والتي أشارت إلى أن الاقتصاد الإيراني انخفض من المركز السابع عشر إلى السابع والعشرين على مستوى العالم خلال العقود الأربعة الماضية، وكان مسعود نيلى المستشار الاقتصادي للرئيس الإيراني حسن روحاني، قال إن الدخل الحالي للفرد في إيران يبلغ 70% من دخل الفرد في عام 1976، وأن الإيرانيين أصبحوا أكثر فقراً بنسبة 30 بالمائة خلال الأربع سنوات الماضية. كما تراجع سعر الريال الإيراني بشكل كبير في مقابل الدولار، حيث عُرض الدولار بسعر يصل إلى 75 ألف ريال، مقارنة مع حوالى 65 ألف ريال قبيل إعلان ترامب قراره بالخروج من الاتفاق النووي. وهذا التراجع الاقتصادي

المتزامن مع احتجاجات متكررة قد يدفع إيران بحسب رأي بعض المحللين لتقديم تنازلات في مناطق الأزمات، على رأسها الساحة السورية، فالضربات التي تتعرض لها هناك تكلفها خسائر إضافية.

#### 7- احتمالات الخروج الإيراني من سوريا:

المقصود هنا هو انتهاء كل مظاهر الوجود الإيراني العسكري في سوريا، سواء قوى مقاومة مسلحة أو قواعد عسكرية وخروجها منها بشكل كامل. لكن هذا المسار أيضاً غير مرجح لعدد من الأسباب:

1- استناداً للسيطرة الجوية الروسية في سوريا، والسيطرة البرية لإيران وقوى المقاومة المدعومة منها، فإن حاجة الطرفين الروسي والإيراني لبعضهما البعض مستمرة وستظل مستمرة، حتى بعد تحرير سوريا من "تنظيم الدولة" بشكل نهائي. فمن ناحية تحتاج روسيا لإثبات قدرتها وسيطرتها على أكبر قدر ممكن من الجغرافيا، إبان اتفاقاتها مع أمريكا حول التسوية السياسية ومناطق تقسيم النفوذ، والتي يبدو أنها ستستمر طويلاً. ومن ناحية أخرى تحتاج روسيا للقوى المدعومة من إيران حتى بعد التسوية؛ من أجل ضبط الأمن والاستقرار على الأرض، في ظل الخسائر البشرية لقوات النظام فضلاً عن الانشقاقات الحاصلة في بداية الأزمة، ومن ثم عدم امتلاكها المقدرة البشرية الكافية اللازمة للسيطرة على الرقعة الجغرافية السورية. إلا إذا كانت روسيا ستستعيز عنها بقوات روسية، وهو أمر غير مرجح؛ لأن هذه القوات ستكون معرضة للهجوم كثيراً من قبل "تنظيم الدولة"، من خلال عودته لتبني نمط حروب العصابات والكر والفر مستقبلاً. وبحسب ما نقله التلفزيون الرسمي الإيراني عن قائد الحرس الثوري محمد علي جعفري، في 23 تشرين الثاني 2017 فقد أعلن عن إبقاء قوات الحرس الثوري في سوريا، حتى بعد انتهاء المعارك، حيث اعتبر أنها ستؤدي دوراً في تحقيق وقف إطلاق نار دائم. الأمر لا يتعلق فقط بالرغبة الروسية من عدمها، بل أيضاً بعدم مقدرتها على إخراج إيران بشكل كامل، لأن هناك ثمة تغلغل عسكري واقتصادي بنيوي إيراني في سوريا.

2- تخشى روسيا من أن يؤدي الخروج الإيراني من سوريا، لأن تعيد قوى المعارضة المسلحة ترتيب نفسها، وتسعى لاستدارة جديدة على الأرض السورية؛ من أجل تغيير موازين القوى بالسيطرة على أكبر قدر ممكن من الأرض. خاصة وأنه من ناحية تتحمل القوى المدعومة إيرانيًا كلفة السيطرة الأكبر على

الأرض، في ظل افتقار النظام للمقدرة البشرية اللازمة. ومن ناحية أخرى ليس هناك ضمانات أمريكية للجانب الروسي بخصوص عدم قيام المعارضة بأي خطوة يمكنها أن تغير من موازين القوى على الأرض، ولا تمتلك الدولتان حجماً من الثقة البينية يمكن أن يسمح بهكذا اتفاق.

3- الأمر لا يقتصر فقط على الساحة السورية، بل تعد إيران القوة الإقليمية الأقرب لروسيا في منطقة الشرق الأوسط ولسياساتها. ومن ثم من الصعب أن تجازف روسيا بخسارة الحليف الإيراني؛ لأنها بذلك تحدث انكشافاً استراتيجياً ليس لإيران فقط بل لنفسها أيضاً. فضلاً عن تشارك الدولتين في العقوبات الأمريكية المفروضة عليهما. فقد أقرت ترمب عقوبات على روسيا وإيران وكوريا الشمالية، تعتبر الأكبر منذ بداية عام 2014 وبالتالي تدفع هذه العقوبات الجانبين الروسي والإيراني لتبني تدابير تضامنية؛ من أجل تقليل فاعلية هذه العقوبات.

4- المحدد الاقتصادي يحمل دلالات هامة في هذا الصدد، فعلى هامش زيارة فلاديمير بوتين، لإيران أعلنت شركة المحروقات الروسية "روس نفط"، أنها وقعت مع شركة النفط الإيرانية العامة خارطة طريق، لتنفيذ مشاريع استغلال مشترك لحقول نفط وغاز في إيران، باستثمارات إجمالية يمكن أن تبلغ 30 مليار دولار. وعن التبادل التجاري، قال ممثل الغرفة التجارية الروسية في إيران الكساندر ماكسيموف، أنه في عام 2016، وبفضل رفع العقوبات المفروضة على إيران، ارتفع حجم التبادل التجاري بين إيران وروسيا مقارنة مع العام السابق بنسبة 70%، حيث تم تسجيل رقم مليارين و 200 مليون دولار، مؤكداً أن حجم التجارة الثنائية يمكن أن ترتقي إلى 10 مليارات دولار سنوياً. وأخيراً، جدد السفير الروسي لدى إيران ليفان جاغاريان، التأكيد على استمرار موسكو وطهران في العمل على اعتماد العملتين الوطنيتين في المبادلات التجارية بين روسيا وإيران، أي أنهما بصدد تبني الروبل والريال في تغطية التجارة البينية.

5- لم ينحصر التدخل الإيراني في الأزمة السورية في تمظهره العسكري واللوجستي فقط، بل امتد ليشمل الاقتصاد، وما يتعلق به من استثمارات في العديد من المجالات. ففي قطاع الطاقة، أعلنت إيران أنها تعتزم إنشاء مصفاة نفط كبرى قرب مدينة حمص في وسط سوريا، والتي ستقوم بتكرير 140 ألف برميل يومياً، كذلك حصلت إيران على ترخيص باستثمار نحو 5000 هكتار؛ لإنشاء مرافئ وخزانات للنفط في الساحل السوري، كما أعطى النظام السوري إيران حق استثمار مناجم الفوسفات في ريف حمص، وهو يعتبر من

أكبر حقول الفوسفات في العالم، أما قطاع الكهرباء، فقد استثمرت إيران في مشاريع الكهرباء بإعادة تأهيل محطات في دمشق وحلب وحمص ودير الزور وبانياس، أما في قطاع الاتصالات، فتستعد طهران لاستثمار مشغل ثالث للخليوي، إلى جانب شركتي "سيرتيل" و "إم تي في"، وعن قطاع الزراعة، هناك استثمارات زراعية لإيران في مساحات كبيرة لا تقل عن خمسة آلاف هكتار، وأخيراً القطاع العقاري، ويبقى الاستثمار العقاري أهم الاستثمارات الإيرانية في سوريا وأكثرهم ربحاً. ومن ثمّ أحدثت إيران بهذه الاستثمارات الضخمة تغلغلاً بنويّاً في الاقتصاد السوري، كما في الجوانب العسكرية. لدرجة تجعل من الصعب على الرئيس بشار الأسد أن يقدم على خطوة إخراج إيران وكل مظاهرها وجودها من البلاد، هذا إذا رغب في ذلك من الأساس.

6- ما صرح به وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، بأنه من غير الواقعي انتظار خروج إيران من سوريا وتوقفها عن أداء دورها في الإقليم. وعلى الرغم من أن روسيا تمتلك الكلمة العليا في الساحة السورية ولدى النظام السوري، وبالرغم من إدراك الرئيس الأسد أن روسيا هي الأكثر قدرة على ضمان بقاءه في الحكم، بالتوافق مع القوى الإقليمية والدولية، إلا أن حجم الثقة الذي يجمع الرئيس الأسد بإيران يفوق نظيره الذي يجمعه بروسيا؛ حيث يدرك الأسد أنه من الممكن أن تستخدمه روسيا كورقة مساومة مع الأطراف الدولية والإقليمية في التسوية النهائية للأزمة. ومن ثمّ فإن إيران تتمسك بالأسد ليس في المدى المنظور فقط، بل حتى على المدى المتوسط والبعيد.

#### 8- إيران والمسألة الجنوبية:

المقصود بهذا العنوان هو أن القوى العسكرية الإيرانية لن تغادر الأراضي السورية، وفي التقديرات أن القوى الإقليمية والدولية ستتوصل عاجلاً أو آجلاً معها لحل وسط، وهو ابتعاد القوى المدعومة إيرانيا عن الجنوب السوري نحو العمق السوري والساحل الغربي "أي ما يسمى سوريا المفيدة وما حولها"، ثم ابتعاد هذه القوى بعد ذلك في مرحلة لاحقة عن المعابر الحدودية بين سوريا والعراق في الشرق السوري، بالأخص معبر البوكمال السوري مقابل مدينة القائم العراقية، ومعبر البعاج المنشأ حديثاً. ويبدو هذا المسار هو المرجح والأكثر واقعية، في ظل وجود عدة معوقات تحول دون تحقيق الخروج الإيراني الكامل من

سوريا، وأخرى تحول دون استمرار انتشار القوى الإيرانية والرديفة في جميع أنحاء سوريا، ومن ثمّ فإنّ التقديرات هي ان الابتعاد عن الحدود الشرقية والجنوبية، سيشكل الحل الذي يمكن أن يقبل به الجميع في الوقت ذاته كحل وسط.

وبينما يمكن النظر في مسألة الوجود الإيراني في الشرق السوري في وقت لاحق، والتي قد تستخدم الولايات المتحدة فيها سيطرتها على موارد الزراعة والطاقة كورقة ضغط مع الروس حينها؛ لإبعاد الإيرانيين عن المعابر الحدودية، فإنّ حلحلة المسألة الجنوبية تطغى حالياً على نقاشات القوى الإقليمية والدولية الفاعلة في الأزمة السورية. فقد تمخض عن احدى زيارات بنيامين نتنياهو لموسكو، ، الاتفاق على إبعاد القوى المدعومة من ايران عن الجنوب السوري، مقابل سماح إسرائيل لقوات النظام السوري بالانتشار في الجولان ودرعا والقنيطرة حتى الحدود الأردنية، وتفكيك قاعدة التنف العسكرية الأمريكية على الحدود السورية العراقية الأردنية، وذلك بمشاركة روسية مكثفة لضمان انسحاب الإيرانيين من المنطقة.

وما يرجح هذا الاتفاق، هو نفي السفير الإيراني في الأردن مجتبي فردوسي بور، وجود قوات إيرانية في الجنوب السوري، وأكد أن بلاده لن يكون لها أي دور في معارك الجنوب. كما شهدت خطوط فصل القوات بين إسرائيل وسوريا في هضبة الجولان المحتلة حراكاً غير عادي، إذ سحبت قوات النظام السوري ألياتها الثقيلة وقسمًا من جنودها شرقاً، تفادياً للتصادم مع إسرائيل في منطقة القنيطرة . وهو ما ينسجم مع التفاهات التي تمت في قمة هلسنكي، حول ضمان أمن إسرائيل والتزام النظام السوري ببنود اتفاقية فصل القوات الموقعة في عام 1974. هذا بالإضافة لإعلان ألكسندر كينشاك السفير الروسي في دمشق، أن هذه المسألة تم تسويتها، ولم يعد هناك وجود لتشكيلات تابعة لإيران في جنوب سوريا . وأخيراً ما نقلته وكالة "تاس" الروسية للأنباء عن مبعوث موسكو إلى سوريا ألكسندر لافرنتييف، قوله إن القوات الإيرانية والقوى الحليفة لها سحبت أسلحتها الثقيلة إلى مسافة 85 كيلومتراً من الحدود بين إسرائيل وسوريا في هضبة الجولان، لكن هذا العرض تم رفضه من قبل إسرائيل؛ حيث أعلنت رغبتها في إنهاء الوجود الإيراني بشكل كامل من سوريا.

هذا الاندماج الإيراني داخل قوات النظام، عاد مبعوث موسكو إلى سوريا ألكسندر لافرنتييف، للإشارة إليه، حيث ذكر أن هناك عسكريين إيرانيين ربما يكونون وسط قوات النظام السوري، التي لا تزال أقرب إلى الحدود الإسرائيلية. كما أعلن لواء "ذو الفقار" وهي قوى مقاومة تابعة لإيران في خبر لها على حسابها الفيسبوكي، أن جنود جيش النظام السوري و "لواء ذو الفقار" موجودون الآن في قلب بصرى الحرير بريف درعا الشرقي. وفي مقابل ذلك، لم تقدم الولايات المتحدة على تفكيك قاعدة التنف العسكرية. وذلك لمراقبة وضمان خروج الإيرانيين من الجنوب السوري، فضلاً عن تخوفها من سيطرة القوى المدعومة إيرانيا على معبر التنف، الذي سيمكنها من توصيل ممرها البري. وبينما هي تسعى لإبعاد هذه القوى عن السيطرة على المعابر الحدودية في الشمال الشرقي، فكيف ستترك المعبر الوحيد في الجنوب الشرقي، دون ضمانات حقيقية من الجانب الروسي لعدم حدوث سيطرة إيرانية عليه.

الوضع السائد باستمرار هو انعدام الثقة المتبادلة بين الجانبين الأمريكي والروسي. ومن ثم يمكن القول إن القوى المدعومة إيرانيا لم تتسحب عملياً من الجنوب السوري بشكل يمكن أن يرضي الجانب الإسرائيلي، فبينما تم إبعاد العتاد الإيراني والأسلحة الثقيلة لمسافة 85 كم عن الحدود في فلسطين المحتلة، وهو ما ينهي أي فرصة إيرانية لإنشاء قواعد عسكرية لها في الجنوب، فإن المقاتلين والمستشارين العسكريين الإيرانيين قد اندمجوا داخل قوات النظام القريبة من الحدود الجنوبية. وهو ما قد يفشل طرائق الحل السياسي؛ لأن الولايات المتحدة لن تسمح بالوصول لحل ينهي الأزمة السورية دون إنهاء النفوذ الإيراني في سوريا أو تحجيمه بشكل فعلي كحد أدنى، مستخدمةً أوراق الضغط التي تمتلكها في الساحة السورية، وهي كثيرة.

قد تنتظر الولايات المتحدة للاتفاق المتعلق بإبعاد القوى المدعومة إيرانيا عن الحدود الإسرائيلية كاختبار للنوايا الروسية فيما يتعلق بنظرة الأخيرة للوجود الإيراني، يمكن البناء عليه في التوصل لحل سياسي نهائي للأزمة السورية. وبالتالي فإن أي فشل لهذا الاتفاق سوف يشعل تصعيداً عسكرياً إسرائيلياً أكثر حدة ضد المعازل الإيرانية والسورية في سوريا، كما سيطيل من أمد الأزمة، ويزيد من حجم الفجوة بين موسكو وواشنطن، ويؤجل الحل النهائي لأجل غير مسمى.

والمرجح هو أنه حتى إن لم تتمخض الاتفاقات عن إبعاد الوجود الإيراني عن الحدود الجنوبية والمعابر الشرقية مع بقائها في بقية أنحاء سوريا في العمق والغرب السوري، فإن هذه الصورة الأخيرة من صور

تحجيم النفوذ الإيراني في سوريا ستكون بمثابة الوضع المرجح مستقبلاً لدى اغلب المراقبين على المدى البعيد، في ظل عدم واقعية خيارى الخروج الكامل أو البقاء المطلق في كل أنحاء سوريا.

#### 9- إشكالية الوجود الإيراني من وجهة نظر اسرائيلية :

اعتبر القائد السابق لسلح الجو الإسرائيلي أمير إيشل أن "القوة العسكرية العظمى لإسرائيل غير قادرة على إخراج الإيرانيين من سوريا"، معرباً عن ثقته بأن "روسيا هي الوحيدة القادرة على فعل ذلك". وتابع أن الزعامة السياسية والعسكرية في إسرائيل لم تفق حتى الآن من الخطأ الإستراتيجي الفادح الذي ظلت تتمسك به على مدى عام ونصف عندما تكهنت بأن سقوط الرئيس الأسد هو مسألة بضعة أسابيع فقط وأنها لا تملك أية رؤية حول ماذا ينبغي أن تفعل وما هي الخطوة القادمة التي ينبغي تنفيذها. والزعامة والإعلام الإسرائيليان أفرطاً في الحديث ضمن مفاهيم أن سوريا تتفكك وأن هذه الدولة تشهد تغييرات إستراتيجية وعسكرية كبيرة يمكن أن تصب في النهاية في غير صالح إسرائيل التي أدركت أنها تشهد تآكلاً في قدراتها على العمل ضد الوجود الإيراني في سوريا. ورأى إيشل أنه بدلاً من أن تقوم الولايات المتحدة وإسرائيل بتعزيز الضغط العسكري على إيران، التي تتقدم من دون كلل أو ملل وبسرعة بتسريح قوتها في الداخل الإيراني وفي المنطقة فإنها وبمساعدة روسيا تمكنت من تعزيز الضغط العسكري على إسرائيل كما ونجحت حتى الآن في نقل تهديدها العسكري إلى الحدود مع سوريا ولبنان. وبالنسبة لشرعية الوجود الإيراني في سوريا، وتخوف إسرائيل من هذا الوجود يقول الكاتب والباحث السوري في الشؤون السياسية أسامة دنورة في حديث "السبوتنيك": "إن وجود القوات الروسية والإيرانية هو وجود شرعي تماماً، ولا يمكننا الحديث عن قوات إيرانية، بل هناك عملياً متطوعون بإشراف فيلق القدس، وهناك خبراء عسكريون موجودون بطلب من الحكومة السورية، سواء كان ذلك يناسب إسرائيل أو لا يناسبها". ويتابع: "قبل أن يتحدث الإسرائيليون بهذه العنجهية يجب عليهم أن يحترموا الحدود الدنيا للقانون الدولي، خاصة بعد الاعتراف الأمريكي بضم الجولان المحتل، وأن يكفوا عن الاعتداء على السيادة السورية، قبل أن يكون لديهم مشاكل حول تواجد قوات أتت لمحاربة الإرهاب". ويضيف: "إسرائيل انخرطت بشكل

مباشر في دعم المجموعات الإرهابية بالسلاح، وبالتنسيق العسكري المباشر، وحتى أحيانا تدخلت بدعم عسكري، بالقصف أو الاعتداءات الجوية التي كانت متزامنة مع الحراك الإرهابي.

من ناحية أخرى حمل الكاتب والمحلل الإيراني حسن هاني زادة في لقاء مع "سبوتنيك" مسؤولية وجود إيران في سوريا، إلى الدول التي أججت الصراع فيها، وقال " ما يجري في سوريا منذ 8 أعوام من صراع داخلي هو نتيجة تدخل بعض الدول الإقليمية والعالمية في الشأن الداخلي السوري، ومن هذه الدول إسرائيل، وسوريا عندما بدأت الأزمة الداخلية طلبت من إيران أن تساعد بضرب المجموعات الإرهابية، التي أتت عبر الحدود التركية والأردنية، واسرائيل تريد أن تكون سوريا ساحة لها، لكي تقوم بضربها وتدميرها وإخراجها من المعادلات والتوازنات الإقليمية والعسكرية في المنطقة. "وتابع: "هناك اتفاقات تعاون عسكري بين إيران وسوريا منذ أكثر من 3 عقود، وهذا يتعلق بالسياسات الداخلية لسوريا، وعندما تتوصل سوريا إلى النتيجة بعدم وجود قوات أجنبية داخل سوريا فإن هذه الدول ستخرج قواتها ومنها إيران، وفي سوريا يتواجد فقط مجموعة من العسكريين كمستشارين للقوات السورية. "ورأى أستاذ العلوم السياسية في جامعة سيفاستوبل الروسية الدكتور عمار قنّاة في اتصال مع "سبوتنيك" بأن التخوف الإسرائيلي هو لمصلحة انتخابية فقط، ويبيّن " :التخوف من الوجود الإيراني في سوريا ليس كند لروسيا أو كلاعب في الفترة الأخيرة، لأن التصريحات الروسية واضحة منذ زمن، وهي على أن جميع القوات الأجنبية بما فيها الإيرانية والتركية والأمريكية الخروج من سوريا، لكن اليوم ومع تفاقم الوضع والتصعيد ما بين الولايات المتحدة وإيران، أعتقد أن نتائجهو يلعب على هذا الوتر الحساس، ويحاول استغلال هذه النقطة لصالحه. "وواصل: "اليوم نرى توافقاً جزئياً عربياً ومحاولة للتطبيع بين إسرائيل ودول الخليج، وتبقى المعضلة تجاه إسرائيل متمثلة بسوريا وإيران، فلذلك المسألة حساسة والطرف الأمريكي يعزز التصعيد في العلاقة الإسرائيلية الإيرانية، أما بالنسبة لموسكو باعتقادي فلا يوجد توافق مع الطرف الإسرائيلي حول خروج إيران، لكن المعادلة تظهر بشكل آخر. "وأكمل: "الموقف الروسي هو الأكثر اتزاناً في هذه المعادلة، هناك وضع مأزوم في المنظومة السياسية الإسرائيلية، ونتائجهو يحاول استخدام كل مسألة خارجية ضمن استعداداته للدخول في الانتخابات القادمة، والآن المطلوب هو فقط جعل المنظومة الإسرائيلية مهددة من قبل إيران، ونقل الأزمة من الداخل الإسرائيلي إلى الخارج."

وفيما إذا كان لروسيا رغبة أو نية في الضغط على إيران للخروج من سوريا، قال المحلل السوري دنورة: "لا أعتقد أبداً أن الطرف الروسي في وارد إضعاف جبهة التحالف ضد الإرهاب، والعامل ضد الإرهاب هو عامل مهم وحقق أثراً إيجابياً في محاربة الإرهاب، إلى حد لا يمكن إنكاره، ولا أظن أن روسيا تضع هكذا إمكانية ضمن إطار مشارواتها مع الطرفين الأمريكي والإسرائيلي". "وتابع: "قد تسمع روسيا إلى وجهات النظر المختلفة، لكنها تحترم السيادة السورية، وموضوع وجود الخبراء الإيرانيين في سوريا، وهو موضوع سيادي سوري، وروسيا وضعت التواجد الروسي والإيراني في أكثر من تصريح وعلى قدر المساواة، وهو يعود إلى القرار السيادي للحكومة السورية."

وأوضح دنورة: "زوال العامل الإيراني يضر بجهود مكافحة الإرهاب التي تقوم بها روسيا، كما أن الروس مدركون بأن إيران مهمة جداً لعدة ملفات استراتيجية، وهي الدائرة السورية بالدرجة الأولى، وفيما يتعلق أيضاً بالدائرة الاستراتيجية لمنطقة الخليج، بالإضافة إلى منطقة القوقاز وبحر قزوين، وأيضاً جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة وآسيا الوسطى وأفغانستان، وهذه تجعل الموقف الروسي واضحاً تجاه الاتفاق النووي الإيراني، ورفض العقوبات على إيران، وعدم تحميل إيران مسؤولية الأعمال التخريبية التي استهدفت ناقلات النفط مؤخراً."

أما هاني زادة من إيران فلا يرى إمكانية لذلك، ويشرح: "الدولة الوحيدة التي تستطيع أن تطلب من إيران إخراج قواتها هي سوريا وليست روسيا، فروسيا لديها أيضاً قوات وفق اتفاقيات بين موسكو ودمشق، وإيران شأنها شأن روسيا، فلا يمكن لروسيا أن تطلب ذلك، ولا شأن لها فيما يتعلق بالعلاقات بين إيران وسوريا. ويكمل: سوريا ساعدت إيران في فترة من الفترات، والآن إيران ترد الجميل لسوريا وتساعدتها، وقدمت أكثر من 700 شهيد منذ عام 2011 خلال الأزمة السورية، ولا يوجد شأن لأي دولة بوجود قوات إيرانية في سوريا."

فيما يقول الدكتور قنّاة: "باعتقادي اليوم لا يمكن طرح المسألة بهذا الشكل المباشر، لا ننسى أن إيران شريك قوي لروسيا خاصة في الأزمة السورية وفي أستانا، وهناك أيضاً مصالح استراتيجية تربط الدولتين، ولا أستطيع القول بأن المسألة هي فقط طلب وستخرج إيران، والاتفاقيات موجودة بين روسيا وإيران منذ

زمن طويل، وباعتقادي يمكن لروسيا أن تلعب الدور الأهم بتحسين علاقات إيران في الشرق الأوسط وحتى مع الولايات المتحدة ."

وحول كيفية خروج إيران من سوريا، يتحدث الباحث السوري أسامة دنورة: "الإيرانيون أكدوا أكثر من مرة أن إيران ستسحب الخبراء وتخرج من سوريا ما أن تنتفي الحاجة إليهم وتطلب الحكومة السورية سحب الخبراء، والحقيقة أن الإيراني ليس مسرورا ببذل جهد عسكري ومادي عندما لا تكون هناك حاجة، وعلى فرض أرادت الولايات المتحدة مثل هذا التغيير، فأول ما عليها التفكير فيه هو رفع الغطاء عن العمليات الإرهابية . "ويواصل حديثه بالقول: "الغرب يبدأ بالحديث عن استخدام الكيماوي كلما وجد هناك نوايا للقضاء على المجموعات الإرهابية، وهذا يعني أن الغرب يفرض نوعا من الحماية على هذه المجموعات الاجرامية، وهذه هي خارطة الطريق المنطقية لإنهاء التواجد الأجنبي على الأراضي السورية، والتي تتواجد بدعوى من الحكومة السورية."

كذلك يرى الخبير الإيراني زادة أن "الحل الوحيد لخروج القوات الإيرانية هو أن تقدم الحكومة السورية طلبا رسميا للحكومة الإيرانية، بإخراج قواتها، وإيران ستلبي هذا الطلب، فليس لديها مصلحة في أن تبقى في سوريا في ظل الأوضاع والتوترات الحالية، لأن إيران خسرت الكثير من قواتها في سوريا."

المصادر في واشنطن تشير إلى أنه لا توجد لدى الإدارة الاميركية والمستويات العسكرية والاستخباراتية الأمريكية الاخرى، جهة واحدة على استعداد لدعم أية عملية عسكرية في سوريا . وفي الجانب الروسي زودت موسكو سوريا بالصواريخ الاعتراضية S-300، وهي منظومة، كما قال نائب وزير الخارجية الروسي، مخصصة لردع أي تدخل عسكري في سوريا ووصفها بأنها منظومة سلاح للتوازن ويمكنها أن تردع عدة مندفعين من اجل التدخل في النزاع السوري، والولايات المتحدة وإسرائيل وزعماءهما هم المتهورون على هذا الصعيد بينما موسكو متزنة ومنضبطة . والمحصلة هي انه في سوريا تحدث كارثة عسكرية وإستراتيجية بالنسبة للغرب وإسرائيل حيث ليس هناك شخص واحد في واشنطن أو القدس يحرك ساكنا، وإن أحدا في إسرائيل لم يقدر قط بأن هذه هي نتيجة الحرب في سوريا.

**نتيهاهو** من جهته، عبر زيارته المتكررة لموسكو، انما كان يرمي، على حد زعمه، الى «ضمان مواصلة التنسيق الأمني بين الطرفين وبحث التطورات الإقليمية»، مشدداً على انه طرح «المبدئين الأساسيين

للسياسة الإسرائيلية، وهما عدم قبول وجود القوات الإيرانية والموالية لها في أي جزء من الأراضي السورية، ليس في مناطق قريبة من الحدود ولا في مناطق بعيدة عنها. ومطالبة سوريا والجيش السوري بالحفاظ على اتفاقية فك الاشتباك لعام 1974 بحذافيرها. «وكانت أوساط روسية أشارت إلى أن موسكو تسابق الزمن لتحضير اقتراحات محددة لترتيبات الوضع في سوريا بعد إنجاز السيطرة على منطقة الجنوب، عبر تثبيت تفاهات مع الأطراف الإقليمية والدولية. وقد جرى الحديث عن تفاهات روسية - إسرائيلية تنص على انسحاب القوات الإيرانية وقوى المقاومة المؤيدة لإيران من المنطقة الحدودية إلى عمق 50 - 40 كيلومتراً، علماً بأن الجانب الإسرائيلي كان يطالب بانسحاب يزيد على 80 كيلومتراً عن الحدود الجنوبية والغربية. واشتملت التفاهات على موافقة إسرائيل على انتشار قوات الشرطة العسكرية الروسية في الجنوب، باعتبارها آلية لضمان الأمن ومنع وقوع احتكاكات. وقد تمت الإشارة إلى احتمال أن تقوم الشرطة العسكرية الروسية بدور أساسي في الحلول مكان (أو مع) قوات الفصل الدولية التي انسحبت بسبب الحرب السورية من خط وقف إطلاق النار في الجولان السوري. لكن النقطة الأخيرة لم يتم التوصل إلى اتفاق كامل حول تفاصيلها لتبقى مع مسألة الوجود الإيراني كعنصرين مهمين للنقاش في إطار الترتيبات اللاحقة.

لقد منحت التفاهات الروسية - الإسرائيلية تل أبيب حرية توجيه ضربات ضد مواقع إيرانية أو تابعة لإيران في حال شعرت بتهديد منها، لكن موسكو اشترطت في حينه ألا تطال الضربات مواقع حكومية سورية، أو تسعى إلى تفويض سلطة ونفوذ القيادة السورية.

في المقابل فإن التعقيدات الرئيسية التي واجهتها موسكو تمثلت في آليات التعامل مع ملف الوجود الإيراني بالدرجة الأولى، علماً بأن الموقف الروسي راوح بين تأكيد على ضرورة انسحاب كل القوات الأجنبية من سوريا مع انطلاق مسار التسوية السياسية، وإشارات ترددت أكثر من مرة، وخصوصاً بعد حسم ملف الجنوب، حول أن إيران شريك أساسي ولا يمكن الوصول إلى ترتيبات في سوريا أو على المستوى الإقليمي من دون إشراكها في الحوارات. كما أنه لا يمكن لموسكو أن تبحث مع تل أبيب أو حتى مع واشنطن، موضوع الوجود الإيراني؛ لأن هذه الأمور «من صلاحيات الحكومة الشرعية السورية». «ومهد هذا المدخل الذي سيطر على تصريحات المسؤولين الروس، لمواجهة عقدة جدية في الحوار مع نتتياهو

حول الترتيبات النهائية في سوريا ومع ترامب أيضاً في وقت لاحق. واللافت، أن النخب الروسية المقربة من الكرملين انقسمت في الآراء حول هذا الملف؛ إذ رأى أستاذ العلوم السياسية بمعهد موسكو الحكومي للعلاقات الدولية، ميخائيل ألكسندروف، أن ترامب وبوتين، يمكن أن يتوصلا لاتفاق حول الموضوع الإيراني؛ لأن «روسيا مهتمة بخروج الولايات المتحدة من سوريا. وترامب يولي أولوية لأمن إسرائيل، ونحن في سوريا لا ندافع عن المصالح الإيرانية. ما نريده هو أن تستعاد سوريا وتبقى دولة صديقة لنا، وعلى وجه التحديد أن تبقى قواعدنا العسكرية هناك. ولدى إيران مصالح جوهرية في سوريا. إنما وجود قوات إيرانية قرب الحدود مع إسرائيل عامل يزعزع الاستقرار. وألاحظ هنا أن مهمة خلق خطر إضافي على إسرائيل لم تكن يوماً من مهماتنا في العملية السورية. انطلاقاً من ذلك، فلن تؤذينا إسرائيل، في حين هي توجه ضربات للأرض السورية وتوقع خسائر. ما سبق يعني ضرورة أن يتم عقد حزمة اتفاقات بين بوتين وترامب.»

في المقابل، ترى أوساط روسية أن موسكو «لا توجد لديها القوة الفعلية أو الإرادة الكاملة للضغط على الإيرانيين، وهؤلاء (الإيرانيون) يمكن أن يظهروا في الجنوب أو في مناطق أخرى بزي القوات العسكرية السورية.»

في ظل هذا التضارب في تفسير الموقف الروسي، أشارت أوساط بحثية إلى أن موسكو تبحث عن حل وسط، يمكن بموجبه أن توافق على تقليص الوجود الإيراني في المناطق الحدودية، لكنها ستترك ملف خروج القوات الإيرانية نهائياً من سوريا إلى مفاوضات مقبلة مع الحكومة السورية في مرحلة ما بعد وضع الترتيبات النهائية وإطلاق العملية السياسية. أما في ملف الجولان فاستبعدت أوساط روسية أن توافق موسكو على أي ترتيبات تقترحها إسرائيل، باستثناء مسألة تعزيز خط الفصل بين القوات لمنع وقوع احتكاك، وأشارت إلى أن تل أبيب تخوض سباقاً مع الزمن لإقناع الأطراف المؤثرة، وخصوصاً موسكو وواشنطن، بالإفادة من الوضع في سوريا عبر تثبيت وضع الجولان كمنطقة «إسرائيلية»، ورفع هذا الملف من أي مفاوضات مستقبلية، علماً بأن نتياهو كان قد أعلن في زيارة سابقة لموسكو، أن هضبة الجولان «ستبقى جزءاً من إسرائيل إلى الأبد». «وأثار هذا التصريح استياء الكرملين في حينه؛ لأنه صدر في

موسكو، ما أوحى بتفاهات مع الروس على هذا الموضوع . وقال المصدر، إن موسكو التي تدعو إلى احترام قرارات مجلس الأمن لن يكون بمقدورها بحث ترتيبات نهائية مع إسرائيل على هذا الصعيد .

المسؤول الإيراني برتبة لواء فيروز آبادي، قال في حوار مع وكالة «إرنا»، إنه «نظراً للعلاقات السياسية والجيوسياسية العريقة بين إيران وروسيا، وتأكيد زعماء البلدين على ذلك، فإن التعاون بين طهران وموسكو قائم بشكل جيد .» واستبعد القيادي الإيراني وجود أي اتفاق أو تعاون روسي -إسرائيلي ضد الانتشار العسكري الإيراني في سوريا . وقال :«لا أتوقع أن يقوم القادة الروس بالاتفاق فيما بينهم ضد مصالح الجمهورية الإسلامية.»

تصريحات المسؤول الإيراني المؤكدة على عمق التعاون مع موسكو، جاءت بعد أيام قليلة فقط، من انتقادات حادة وجهها رئيس لجنة الأمن القومي والسياسة الخارجية في البرلمان الإيراني **حشمت الله فلاحت بيشه** للحليف الروسي بعد الغارات الإسرائيلية ضد مواقع إيرانية في سوريا، وقال في مقابلة مع وكالة «إرنا» الرسمية أن «روسيا قامت بتعطيل نظام الدفاع الجوي إس 300 -خلال الهجمات الأخيرة على سوريا .» هذا في حين اعتبر الباحث في مركز «طروس» لدراسات الشرق الأوسط جلال سلمي، التصريحات الإسرائيلية تصب في خانة المقايضات بين تل أبيب وموسكو في الملف السوري، وأن إسرائيل ستقوم بدفع المصالح الروسية إلى الواجهة وتقديم ما يلزم لتثبيتها في المنطقة، مقابل قيام الساسة الروس بتحجيم الانتشار الإيراني بالقدر الذي لا يشكل أي مخاطر على الجيش الإسرائيلي . وقال «سلمي» :«لا يمكن التعويل كثيراً على التصريحات العلنية، وما قاله المستشار الأعلى للقائد العام للقوات الإيرانية، اللواء حسن فيروز آبادي، هو بمثابة الدفاع عن النفس، وأن العلاقات بين طهران وموسكو لا تزال متماسكة بقوة، رغم وجود خلافات بين الجانبين، والمصالح الاستراتيجية بين الحليفين أكبر من سوريا.»

ويرى محللون أن العلاقات الإيرانية -الروسية، يمكن تصنيفها من النواحي الاستراتيجية لصالح موسكو وليس لصالح طهران، بمعنى أن **بوتين** هو الطرف الذي يحدد متى تكون هذه العلاقة محورية ومتى تكون غير ذلك، في حين أن السياسة الإيرانية -بحسب المحللين -تسعى جاهدة للحفاظ على العلاقات مع روسيا كونها تمدها بغطاء دولي، وقوة تسمح لها بحرية الحركة والمناورة في الملفات الحساسة، إلا أن موسكو تستخدم الانتشار الإيراني كمساند إقليمي لتنفيذ مصالحها بأقل الخسائر أو حتى التكاليف . وفي المحصلة لا

يمكن اعتبار التصريحات الإسرائيلية والإيرانية إلا مجرد تصريحات عامة لا تأثير فعلياً لها، دون أن يستبعد هؤلاء أن تظهر الأيام المقبلة الشرخ الإيراني الروسي مهما حاولت أطرافه إخفاء واقعه.

### – 10 الحضور الإيراني في العراق:

تبدى إسرائيل قلقاً متزايداً إزاء المؤشرات التي تقول إنّ طابع الأنشطة العسكرية التي تقوم بها إيران في العراق تهدف إلى تحسين مكانتها في أي مواجهة واسعة محتملة مع دولة الاحتلال، وتوسيع منظومة خياراتها الجيوستراتيجية، بحيث تتعدّد الساحات التي بإمكان طهران مفاجأة تل أبيب انطلاقاً منها . وعلى الرغم من أنه سبق لإسرائيل أن أبدت اهتماماً بطابع الوجود العسكري الإيراني في العراق، إلا أنّ التحذيرات التي أطلقها رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية (أمان)، تامير هايمان، تكتسب أهمية خاصة . وبحسب هذا الأخير، الذي تحدّث في المؤتمر السنوي الذي تنظمه صحيفة "كالكيست" الاقتصادية، فإنّ "هناك ما يؤشر إلى أن إيران في ذروة جهودها لبناء قوتها العسكرية في العراق، بحيث تتمكّن من استخدام وجودها المسلح هناك في مهاجمة إسرائيل، ضمن مواجهة شاملة . "وزعم هايمان أنّ ما يعزّز من قدرة إيران على العمل بحرية في العراق هو حقيقة أنّ هذه البلاد واقعة تحت تأثير متعاطم لقوات الحرس الثوري الإيراني بقيادة الجنرال قاسم سليمانى . وبلهجة لا تخلو من الانتقاد للسياسات الأميركية بوصفها توفر بيئة تسمح للإيرانيين بالعمل، قال الجنرال الإسرائيلي إنّ "السياسة الانعزالية" التي يتبناها الرئيس دونالد ترامب، والتي تمثلت آخر صورها في قراره بسحب القوات الأميركية من سورية، تشجّع إيران ليس فقط على التمرّكز عسكرياً في العراق، بل إن ذلك يغريها بعدم التردد في مهاجمة إسرائيل انطلاقاً من هناك . ورأى هايمان، أنّ الانسحاب الأميركي من سورية واستقرار نظام الرئيس بشار الأسد يزيدان من خطورة الوجود العسكري في العراق، على اعتبار أنّ هذين التطورين يسمحان لطهران و "حزب الله" والفصائل الرديفة بتعزيز وجودها هناك، بما قد يتيح لإيران هامش حرية أكبر في التعاطي عسكرياً مع إسرائيل .

وإلى جانب تحذيرات هايمان، فقد سبق أن عمدت إسرائيل إلى تسريب تقديرات تفيد بأنها لا تستبعد أن تبادر لشنّ هجمات ضد الوجود الإيراني العسكري في العراق، لا سيما بعد أن زعمت أن إيران سلّمت

فصائل تابعة لها هناك صواريخ ذات دقة عالية، تم نصبها في مناطق من العراق، ويمكن أن تستخدم ضد تل أبيب.

لكن على الرغم من تحذيرات هايمان، وما سبقها من تهديدات، فإنّ هامش المناورة المتاح أمام إسرائيل، في كل ما يتعلق بالعمل عسكرياً ضد إيران في العراق محدود للغاية. إذ بخلاف ما هي عليه الأمور في سورية، فإنّ البيئة السياسية في العراق، تقلص هامش المناورة أمام تل أبيب وتتنزع الشرعية الدولية عن أي عمل عسكري يمكن أن تنفذه هناك. وبخلاف نظام الرئيس بشار الأسد، فإنّ المجتمع الدولي لا يعترف فقط بالحكومة المركزية في بغداد، بل إنه معني بشكل واضح بإنجاحها ولن يسمح لسلوك تل أبيب العسكري أن يؤثر على استقرارها. ونظراً للعلاقة الوثيقة بين إيران والأحزاب وحركات المقاومة العراقية التي تشارك في حكومة عادل عبد المهدي، فإنّ السلوك العسكري الإسرائيلي سيواجه برد عراقي رسمي، على الصعيد الداخلي والإقليمية والدولية.

وتبدو المفارقة أكبر عندما يتبين أنه في الوقت الذي سمح الوجود العسكري الروسي في سورية بتحسين قدرة إسرائيل على العمل هناك، فإنّ الوجود العسكري الأميركي في العراق يفضي تحديداً إلى نتائج عكسية. فإسرائيل تعي أنّ الولايات المتحدة، الحليف الأقرب لها، ليست معنية فقط باستقرار نظام الحكم والأوضاع السياسية في بغداد، على اعتبار أن هذا مؤشر على نجاح السياسات الأميركية في المنطقة، بل إنّ صناع القرار في تل أبيب يدركون أيضاً أنّ إدارة ترامب لا يمكنها أن تسمح بأي عمليات عسكرية في العراق لأنها ستفضي إلى تهديد أمن وسلامة الجنود الأميركيين العاملين هناك. ولا شك أنّ الأميركيين يفترضون أنّ فصائل المقاومة المدعومة من إيران ذات النفوذ الكبير في العراق قد تردّ على الهجمات الإسرائيلية باستهداف القواعد الأميركية في البلاد. وبخلاف سورية أيضاً، فإنّ الولايات المتحدة لا تبدو مستعدة لسحب قواتها من العراق، إذ تعهدّ ترامب خلال زيارته إلى قاعدة "عين الأسد" في محافظة الأنبار بعدم الانسحاب من هناك، وهو ما يفرض على إسرائيل مراعاة هذا الواقع.

في الوقت ذاته، وعلى الرغم من الدعم الأميركي للموقف الإسرائيلي في ما يتعلق بالوجود العسكري الإيراني في سورية، لم يصدر عن واشنطن أي انتقاد للوجود الإيراني في العراق. ومن الواضح أنّ ترامب غير معني بأي تحوّل يفضي إلى التذليل على عدم صدقية إعلانه تحقيق الانتصار على "داعش"، إذ يرجّح

أنّ الأميركيين يفترضون أنّ المسّ بحماسة العراقيين لمواصلة العمل لضمان عدم عودة التنظيم، سيمثّل ضربة قوية لخطاب ترامب. من ناحية ثانية، فإنّ المتطلبات العسكرية والاستخبارية للعمل في العراق هي أكثر تعقيداً من تلك التي تمكّن إسرائيل من العمل بشكل مريح في سورية. وفي السياق خلص معهد دراسات الامن القومي بجامعة تل ابيب إلى أنّ "ثمة أهمية لأن تأخذ إسرائيل بالحسبان أنّ هناك شك في أنّ يوافق الأميركيون على تطبيق السياسة الإسرائيلية، بتوسيع جهودها العسكرية ضد وجود إيراني إلى الأراضي العراقية أيضاً، خاصة بسبب التخوف من مسّ محتمل بقواتهم المنشرة في العراق. وذلك، إلى جانب اعتبارات أخرى، بينها علاقات إسرائيل مع الأكراد الذين يشاركون في الحكومة العراقية".

خطوات عملية أكثر اتخذتها إسرائيل لاختراق المجتمع العراقي، تمثّلت في إنشاء إسرائيل صفحة باللغة العربية اعتبرتها بمثابة «السفارة الرقمية في البلد الذي مزقته الحرب» كما قال مسؤول إسرائيلي، هي صفحة «إسرائيل باللهجة العراقية»، التي تخاطب العراقيين منذ ايار 2018، وتهتمّ بتفاصيل حياتهم، لذلك لا غرابة أنّ نجد منشوراً في أعقاب عملية تفجيرية وقعت في بغداد، يعلّق «إسرائيل تعبر عن أساها وصدمتها لسقوط قتلى أبرياء في عمليات إرهابية وتأمّل بأن يعود الهدوء والاستقرار إلى العراق وتمد يدها إلى جميع جيرانها وتتمنى ظروفاً تسمح بإقامة علاقات طبيعية معها وتعاون مثمر لمصلحة شعوب المنطقة.» كما أنشأت مجموعة فيسبوك باللغة العربية تسمى «الحفاظ على اللغة العراقية» يشارك فيها نحو 50 ألف عضو، منهم من يقطن في العراق أو عراقيون يسكنون في الخارج، وتحدّث الإسرائيليون عن مشروع في النرويج يروج لمؤتمرات ولقاءات بين عراقيين وإسرائيليين من المجتمع المدني من أجل تباحث سبل السلام بين الدولتين. كذلك يتخذ الإسرائيليون من نموّ العلاقات التجارية مع العراق وسيلة قوّة ناعمة، ففي الثامن من كانون الثاني 2019، أعلن وزير المالية الإسرائيلي موشيه كحلون عن شطب العراق من قائمة «دول العدو»، وجاء في نص المرسوم الذي يجيز التبادل التجاري مع بغداد «بموجب سلطتي وفقاً للمادة 3 من الأمر التجاري رقم 1، أمنح المصادقة للإسرائيليين للتداول التجاري مع العراق حتى نهاية آذار.» 2019

ومنذ إسقاط نظام صدام حسين، وقّعت إسرائيل على مرسوم خاص يسمح بالتجارة مع العراق، إذ يشتري العراق من إسرائيل تجهيزات للري وآلات زراعية وأدوية وتجهيزات طبية وتقنيات اتصال، لكن هذه

الأنشطة تتمّ عبر إقليم كردستان المعروف بعلاقته القويّة بإسرائيل، ويعود الحديث عن العلاقات التجارية بين العراق وإسرائيل إلى عام 2012، حين كشفت وثائق «ويكيليكس» عن استخدام العراق لميناء حيفا للاستيراد والتصدير، وتظهر الوثائق إن إسرائيل أجازت لكبار رجال الأعمال والمصدّرين الإسرائيليين التعامل والاستثمار التجاري مع بغداد مباشرة، وما يرغب العراق في استخدام هذا الميناء هو أن خط المواصلات «بغداد - عمان - حيفا» أرخص من ناحية تكاليف الشحن والاستيراد والتصدير إلى أوروبا، وهو أقصر مسافة مقارنة مع المسار البحري بالخليج العربي، كما كشف النقاب عن قيام شركات إسرائيلية بالاستثمار في إعادة إعمار العراق بتفويض من الاتحاد الأوروبي والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية. ومع بداية الغزو الأمريكي للعراق، لم يكتفِ الإسرائيليون بالوصول إلى العراق كخلايا سرية والعمل مع الجيش الأمريكي والالتقاء بالمسؤولين العراقيين في المنطقة الخضراء، بل عملوا على استقطاب شخصيات عراقية لزيارة إسرائيل، ومن أبرز هؤلاء النائب السابق **مثال الآلوسي**، الذي زار إسرائيل بشكل علني في أيلول عام 2004، بعد دعوة من قبل «المعهد الاستراتيجي لشرق أوروبا»، ولم يثن الآلوسي تعرضه لمحاولة اغتيال في شباط عام 2005 وفقدان نجليه الوحيدين وحارسه الشخصي عن زيارة إسرائيل مرة أخرى في عام 2008 لحضور مؤتمر هرتسليا. أما في العام 2016، فقد زار إسرائيل الدبلوماسي العراقي السابق **حامد الشريف**، وزار «الكنيست» ووزارة الخارجية الإسرائيلية والمحكمة الإسرائيلية العليا والتقى عددًا من اليهود ذوي الأصول العراقية، أما في عام 2018 فزارت إسرائيل **ناديا مراد** الفائزة بجائزة نوبل للسلام عام 2018.

لكن زيارة ملكة جمال العراق لسنة 2017 **سارة عيدان** لإسرائيل، واحدة من أكثر زيارات العراقيين ضجّة، فلم تكتفِ عيدان بنشر صورة لها مع نظيرتها الإسرائيلية **أدار غاندلسمان**، بل دعت في زيارتها الأولى لإسرائيل إلى ما أسمته «التعايش والسلم الإقليمي»، ونقل عنها القول «:سافرت لآلاف الأميال وعرضت حياتي للخطر ليس للتعبير فقط عن مدى شعورنا بالسأم من هذه الحرب التي لا نهاية لها بين بلدنا». ويتحدث الإسرائيليون عن تشكيل ما يشبه «اللوبي الإسرائيلي» في بغداد نكايّة ومواجهةً للنفوذ الإيراني في العاصمة العراقية، كما يركز الاطمئنان الإسرائيلي للتقارب مع العراقيين، اعتبارهم أنّ الشيعة في العراق يحملون الفلسطينيين وزر ما تعرضوا له نتيجة تأييدهم للرئيس العراقي الراحل **صدام حسين**،

لتأتي لاحقاً ذريعة أن الفلسطينيين «هم أكثر الانتحاريين في العراق» بحسب المحللين الإسرائيليين. فيما تقول الكاتبة الإسرائيلية بصحيفة معاريف **جاكي خوحي** أن غالبية الجمهور العراقي «غير منشغل كثيراً بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني، ورغم أن بعضهم ينظر باشمزاز لإسرائيل، والبعض الآخر من بقايا عهد صدام، فقد نشأت فئة ثالثة بين العراقيين تدعو لتجديد الاتصالات مع اليهود، وباتت بغداد تشهد وجود مجموعة نفوذ لوبي (إسرائيلية).» ومع إشارتها إلى وجود معارضة كبيرة من اللوبي الإيراني ببغداد أضافت: «إذا نجح اليهود والشيعية بتحبيد أجندة إيران، وبقايا إرث حزب البعث العراقي، فإنهما لن يجدا سبباً منطقياً لإبقاء العداء تجاه إسرائيل، لأن غالبية الدول العربية، ومن بينها الدولة الفلسطينية ذاتها، لديها علاقات مع تل أبيب.» وتتعهد الدبلوماسية الناعمة الإسرائيلية على الاستغلال الجيد لورقة اليهود العراقيين في تحقيق الكثير من الإنجازات في ملف التطبيع مع العراق، فهؤلاء الحاضرون بمعرض بغداد الدولي للكتاب في نيسان 2018 اعتبرتهم الأطراف الإسرائيلية «بشائر تقارب ثقافي مدني بين العراق وإسرائيل»، أو كما ذكرت صفحة «إسرائيل باللغة العربية» «أن»: هذا الانفتاح المبارك سيساهم في بناء جسور من المعرفة والثقافة والتقارب بين المتقنين العراقيين والإسرائيليين وعلى الأخص من هم من جذور عراقية، السلام الحقيقي يبني من الجذور.»

وفي وقت يقول الإسرائيليون فيه إن التواصل الإلكتروني بين العراقيين والإسرائيليين تحول إلى «أمر روتيني» بفضل صفحات التواصل الاجتماعي التي خصصتها إسرائيل لمخاطبة العراقيين، يضاعف بعض اليهود العراقيين من جهودهم في تفعيل صفحة «إسرائيل باللهجة العراقية»، ويدعم هؤلاء نشر مقالات عدد من الصحف العراقية تندد بالقرارات الخاطئة من وجهة نظرهم التي نصت على نزع الجنسية العراقية من غالبية اليهود العراقيين عقب إقامة دولة إسرائيل، كما أنهم باتوا يلتقون في الآونة الأخيرة رسائل دعم لإسرائيل مرفقة بجوازات سفر عراقية، حيث يريد هؤلاء الوصول إلى إسرائيل لزيارتها، أو العمل فيها، أو الهجرة إليها.

تقول الصحافية الإسرائيلية **ليندا منوحي عبد العزيز**، وهي ذات أصول عراقية «هم يحافظون على تواصل دائم، العراقيون في الشتات يتواصلون مع الإسرائيليين، يلتقون بهم في الخارج، والمثير هو أنه بعكس لقاءات مع آخرين من الدول العربية، فإنه لا يوجد عداوة مع العراقيين، لا توجد أعباء، لا اتهامات

متبادلة وكأنهم يلتقون على محض الصداقة .«وتضيف منوحيين» بكل تواضع، أعتقد أنه هناك علاقة، العراقيون يتأثرون ويندهشون من حقيقة أن اليهود الذين فروا من العراق الى إسرائيل يتمسكون بتاريخهم ويثمنون هذه الثقافة، الموسيقى العراقية بدأت تفتح التيار المركزي الإسرائيلي، واليوم الجيل الثالث يظهر اهتماماً باللغة التي سمعوها من أجدادهم.»

من جهة أخرى كشفت قناة التلفزيون الإسرائيلية الـ 13، أن «تل أبيب» قررت تكثيف جمع المعلومات الاستخبارية عن العراق، بهدف إزالة مظاهر التمرکز العسكري الإيراني في بلاد الرافدين. وقال المعلق العسكري للقناة ألون بن دافيد، إنه «تم اتخاذ هذا القرار في أعقاب وجود مؤشرات على إقدام إيران على استثمار مقدرات كبيرة لبناء وجود عسكري بهدف تعزيز تأثيرها داخل العراق .«وأضاف أن «التقديرات السائدة في «إسرائيل» تجمع على أن التمرکز العسكري الإيراني في العراق يكتسب خطورة كبيرة، على اعتبار أن «تل أبيب» أخرجت عمليا العراق من دائرة الدول التي تشكل تهديدا استراتيجيا على أمنها القومي في أعقاب سقوط نظام صدام حسين .«ومع ذلك فقد سربت قيادات عسكرية إسرائيلية لوسائل الإعلام تقديرات مضمونها أن شن غارات عسكرية ضد الوجود الإيراني في العراق غير مستبعد.

### - 11 خلاصة:

إيران وسوريا حليفتان استراتيجيتان متلازمتان بحيث أنه عادة ما تسمى سوريا "الحليف الأقرب" لإيران . بغض النظر عن الصراع الأيديولوجي بين أيديولوجية القومية العربية لحزب البعث العلماني الحاكم في سوريا وسياسة الوحدة الإسلامية لجمهورية إيران الإسلامية . وإيران وسوريا في تحالف استراتيجي منذ الحرب العراقية الإيرانية، عندما وقفت سوريا مع إيران غير العربية ضد جارها البعثي المعتدي والمدفوع اميركيا ما جعلها عرضة للعزل من قبل بعض الدول العربية الخاضعة للنفوذ الصهيوني الأميركي . وقد ربط البلدين العداء المشترك الراسخ تجاه الولايات المتحدة وإسرائيل . وسوريا تتعاون مع إيران في امرار الأسلحة إلى المقاومة الاسلامية (حزب الله (في لبنان .وخلال الحرب الكونية على سوريا قامت إيران بمحاولة مكثفة ومكلفة ومتكاملة للحفاظ على الرئيس السوري بشار الأسد في السلطة.

في الوقت الراهن، تشارك إيران في تنفيذ العديد من المشاريع الصناعية في سوريا، بما في ذلك مصانع الأسمنت وخطوط تجميع السيارات ومحطات الطاقة وتشييد صوامع القمح. وتعتزم إيران أيضاً إنشاء مصرف إيراني سوري مشترك في المستقبل. وفي 17 شباط 2007، اجتمع الرئيسان أحمددي نجاد والأسد في طهران. وأعلن الرئيس الإيراني السابق أحمددي نجاد بعد ذلك أنهما سيشكلان تحالفاً لمكافحة المؤامرات الأميركية والإسرائيلية ضد العالم الإسلامي. وقد أكد الرئيس الإيراني الحالي حسن روحاني يوم تنصيبه في 3 آب 2013، أن تحالف إيران مع سوريا سوف يستمر.

لقد طالب الكاتب في صحيفة "إسرائيل اليوم" عوديد غرانوت بأن تحتاط تل أبيب لتنامي القدرات العسكرية للقوات الإيرانية في سوريا لأن وجودها بهذه المنطقة "يعتبر خطأ أحمر". وقال إنه إذا لم تتجح القوى العظمى في إبعاد إيران عن الحدود بين سوريا وإسرائيل فإن على الأخيرة العمل وحدها، والتوقف عن سياسة عدم التدخل العسكري في الحرب السورية المستمرة منذ ست سنوات.

أضاف أن إسرائيل تتقرب بحذر "الدور الدولي في تعزيز القوة الإيرانية، خاصة عقب الاتفاق النووي". وحذر غرانوت مما وصفه بالإسهام الغربي في توسع إيران الجغرافي بالشرق الأوسط، بسبب ما اعتبره تركيزاً هستيرياً على محاربة تنظيم الدولة الإسلامية، "مما عبد الطريق أمام تدفق الميليشيات الشيعية المؤيدة لإيران نحو العراق وسوريا". وقال إن هذا الوضع جعل إسرائيل "تجد نفسها أمام خطر الهلال الشيعي على حدودها الشمالية، خاصة المنطقة التي يسيطر عليها حزب الله والمليشيات الشيعية والممتدة من رأس الناقورة غرباً إلى جنوب هضبة الجولان". ولكنه اعترف بأن إسرائيل لا يمكنها وحدها وقف تسلح إيران النووي، وكل هجوم على منشآتها دون التنسيق المسبق مع الولايات المتحدة سيغرق الشرق الأوسط في الفوضى.

أما خبير الشؤون العربية بصحيفة يديعوت أحرونوت روعي كايس فاعتبر أن الأردن يعتبر الوجود الإيراني تهديداً إستراتيجياً له وأمر غير مقبول. وأضاف أن القوات الإيرانية حلت محل تنظيم الدولة في المناطق التي كان يسيطر عليها. ونقل عن جهات سياسية أردنية أن عمان ستتخذ الإجراءات الضرورية للحفاظ على هدوء واستقرار حدودها من أي وجود لقوى مسلحة مدعومة من إيران. وولفت إلى أن دولاً أخرى في المنطقة لم يسمها تتوجس من خطورة الوجود الإيراني على الحدود الأردنية السورية.

أخيرا تجدر الإشارة إلى أن إيران وقّعت مع العراق وسوريا على عقد إنشاء "أوتوستراد" ينطلق من طهران، ليتجاوز العراق، ومنه يخترق الأراضي السورية وصولا إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط . وسيكون الطريق متسعا جدا، ومقسما إلى 4 أقسام، منها قسمان بعرض 50مترا لمرور الشاحنات، وقسمان بعرض 50مترا، وقسم للسيارات، في الاتجاهين، وأقصى سرعة للسيارات هي 140كم. ولإتمام الفائدة الإيرانية من المشروع، ستتولى شركة إيرانية تنفيذه، وتضع رسوما لمرور السيارات والشاحنات.